# المبحث الثالث

# شجاعة العربية

إن كل لغة تختص بمميزات تتمثل في نظامها الصوتي والإفرادي والتركيبي والدلالي، وما العربية إلا لغة من بين اللغات البشرية التي قد أنعم الله بها على العرب خصيصاً، وعلى من اختارها لسانا وتأليفا، ونزل بها آخر كتاب سماوي إذ قال تعالى: ﴿ لَّا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾(١).

فتعززت العربية بهذا المعطى الإلهي، وظلت صامدة شامخة أمام كل اللغات التي التقت معها، ولم ينل الخصوم منها شيئا، على الرغم من طغيان المنطق الإغريقي وفلسفته.

إن فكرة عالمية الأفكار وخاصية اللغات فكرة أكدتها الدراسات اللغوية قديماً وحديثاً، إذ نجد أبا حيان التوحيدي يقول على لسان أبي سعيد السيرافي وهو يحاج بشر بن متي المنطقي (وهو أن تعلم أن لغة من اللغات لا تطابق لغة أخرى من جميع جهاتها بحدود صفاتها، في أسمائها وأفعالها وحروفها وتأليفها، وتقديمها وتأخير ها واستعارتها وتحقيقها، وسجعها ووزنها... وغير ذلك، مما يطول ذكره...، فمن أين يجب أن تثق بشيء ترجم لك عن هذا الوصف) (٢).

وفي ضوء هذا النص نستشف أن الصراع بين اللغات قديم، لذا اختار ابن جني هذا العنوان « شجاعة العربية »(٣) لما أحس به من طُغيان المنطق الإغريقي واستيلائه على منافذ التفكير اللغوي العربي، فكان لزاما عليه أن يتعمق في دراسة العربية، لينتهي به البحث العلمي إلى شجاعتها وقدرتها على التعامل مع الواقع السائد في المناظرات والمساجلات اللغوية آنذاك(٤).

فالعربية ليست لغة جامدة بل هي لغة نامية متحركة قابلة للتطور في كل الميادين الصناعية والتجارية والتكنولوجية والثقافية والسياسية، وكل مناحي الحياة المعاصرة والآتية، فهي لغة معطاة لا تعرف التوقف ولا التخلف، لذلك وسمها ابن جني بالشجاعة(٥).

---

(١) سورة فصلت الآية: ٤٢.
(٢) الإمتاع والمؤانسة، أبو حيان التوحيدي، تحقيق الأستاذين، أحمد أمين و أحمد الزين، دار مكتبة الحياة بيروت: ج١ / ١١٥-١١٦.
(٣) الخصائص: ج٢/ ٣٦١.
(٤) ينظر: شجاعة العربية أبحاث ودروس في فقه اللغة، الدكتور. سالم علوي، دار الآفاق ٢٠٠٦م: ٦.
(٥) ينظر: المصدر نفسه: ١٠.

ويقول الدكتور عبد الحكيم راضي في هذا الصدد (إن ابن جني يربط على طول الخط بين قوة الشاعر وقدرته على التصرف في اللفظ والتحكم فيه ومخالفة المتوقع في توجيهه وتجاوز المسلمات المقررة في صرفه ودلالته وتركيبه وبين روعة الناتج وفنيته التي تتعاظم بتعاظم الخروج على خلاف تلك المقررات، مما أفضى به إلى صك واحدٍ من أثمن المصطلحات التي اشتملت عليها النظرية الأدبية العربية وهو مصطلح « شجاعة العربية») (١).

أطلق ابنُ جني على المفهوم الذي نحن بصدده مصطلح « شجاعة العربية»، واختصه بباب كبير في كتاب الخصائص وقال: (أعلم أن معظم ذلك إنما هو الحذف والزيادة والتقديم والتأخير والحمل على المعنى والتحريف) (٢).

ويتعرض ابن جني لهذه الأساليب التي ذكرها، ويعدد مظاهرها، أو تفريعاتها، فالعرب (قد حذفت الجملة والمفرد والحرف والحركة) (٣).

أما التقديم والتأخير فهما ضربان: أحدهما ما يقبله القياس، والأخر ما يسهله الاضطرار(٤).

أما الحمل على المعنى فيقول عنه (لهُ غور في العربية بعيد، مذهب نازح فسيح، فقد ورد في القرآن وفصيح الكلام منثورا ومنظوما، كتأنيث المذكر، وتذكير المؤنث، وتصور معنى الواحد في الجماعة، والجماعة في الواحد، وفي حمل الثاني على لفظ قد يكون عليه الأول، أصلا كان ذلك اللفظ أو فرعا، وغير ذلك مما تراه) (٥).

أما التحريف فقد يقع في الاسم والفعل والحرف(٦).

ولذلك يدور الحديث (حول ظواهر من مخالفة قواعد الصواب في التركيب والصرف والدلالة، من قبيل ما يسلكه المهتمون بهذه القواعد ضمن ظواهر المجاز والضرورة) (٧).

ويؤكد ذلك ثانية بالقول (غير أن كلا من المفهوم والمصطلح يتعرض لشيء من التمدد، وذلك في موضع آخر من الخصائص أثناء حديثه عن المجاز) (٨)، إذ صرح ابن جني بقوله (ومن المجاز كثير من باب الشجاعة في اللغة، من الحذوف والزيادات والتقديم والتأخير والحمل على المعنى والتحريف) (٩).

---

(١) التقديم لكتاب الخصائص: الدكتور عبد الحكيم راضي، سلسلة الذخائر تصدرها الهيئة العامة لقصور الثقافة القاهرة ٢٠٠٦م: ٧.
(٢) الخصائص: ج٢/ ٣٦١.
(٣) المصدر نفسه: ج٢ / ٣٦١.
(٤) ينظر: المصدر نفسه: ج٢ / ٣٨٢.
(٥) المصدر نفسه: ج٢ / ٤١١.
(٦) ينظر: المصدر نفسه: ج٢ / ٤٣٦.
(٧) التقديم لكتاب الخصائص: ٩.
(٨) المصدر نفسه: ١٠.
(٩) الخصائص: ج٢ / ٤٤٦.

كما نجد الشريف الرضي (ت ٤٠٦ هـ) ينقل عن شيخه ابن جني الحديث عن « شجاعة الفصاحة» دون أن يذكر عنها شيء، غير أن ابن معصوم (ت ١١١٩هـ) ينقل عن الرضي حديثه عن هذا النوع الذي عرفه بأنه (عبارة عن حذف شيء من لوازم الكلام وثوقا بمعرفة السامع به) (١).

ويذكر الدكتور عبد الحكيم راضي أن المصطلح أضيف مرة إلى اللغة مطلقا، مرة إلى العربية، ومرة إلى الفصاحة، إلا أن المجال العام دائما هو اللغة، أما المجال الخاص فهو المواضع التي تحيد فيها اللغة عن النمط المثالي أو المعياري، كما لا يجب أن نغفل عن أن ثمة تجوزاً في الإضافة، إذ الشجاعة هي في الأصل صفة لمتكلم اللغة، أو متكلم العربية أو المتكلم الفصيح، وإن كانت مظاهرها تتبدى في طريقة استعماله للغة(٢).

من هنا نتتبع مصدر مصطلح الشجاعة في اللغة عند ابن جني، ومن الواضح أن مفهوم المصطلح يدور حول معنى مخالفة المألوف في الاستعمال، ويتضح ذلك من الظواهر التي أدرجها ابن جني: الحذف والزيادة والتقديم والتأخير والحمل على المعنى والتحريف، وكذلك المجاز(٣).

و هذا واضح من تعليل ابن الأثير(ت ٦٣٧ هـ) لتسميه هذه الظواهر «بالشجاعة»، بأن الشجاعة هي الإقدام، وأن الرجل الشجاع يركب ما لا يستطيع غيره، ويتورد ما لا يتورده سواه(٤).

بينما ذهب نجم الدين بن الأثير الحلبي (ت ٧٣٧ هـ) إلى أن (الكلام المتصف بتلك الصفات إنما سمي «شجاعة العربية» لأنه لما كان كلاماً فيه قوة يتصرف بها في المخاطبات من غيبة إلى حضور، و من حضور إلى غيبة،... كله لا يخرجه عن حد الفصاحة والبلاغة، لا ينسب إلى خلل ولا تقصير في استيفاء المعاني صار في نفسه شجاعا بالنسبة إلى العربية،...، فحسنت تسمية الكلام المحتوى على ما قدمناه من التقسيم الذي شرحناه بهذه التسمية، لأن الشجاعة في مثل هذا الكلام تحمله على الجولان في جوانب المعاني كيف شاء) (٥).

ومن هذا كله نلاحظ أن كلاّ من ضياء الدين بن الأثير و نجم الدين بن الأثير الحلبي، يركز على الشبه بين مسلك الشاعر المتفنن ومسلك الشجاع المغامر، أو بين طبيعة اللغة الأدبية في تأبيها على القواعد المعيارية وجنوحها إلى الخروج عليها وطبيعة تصرفات الفارس الشجاع المتهاون بقواعد السلامة، ونحن نعلم أن مصدر كل من ذهب هذا المذهب، هو ابن جني، الذي سبق إلى عقد هذه المشابهة في معرض الدفاع عن تجاوزات

---

(١) أنوار الربيع في أنواع البديع، تأليف السيد صدر الدين بن معصوم المدني تحقيق شاكر هادي شكر ط١ النجف الاشرف، ١٩٦٩م: ج٥ / ١٩٢.
(٢) ينظر: التقديم لكتاب الخصائص: ١٠.
(٣) ينظر: التقديم لكتاب الخصائص: ١١.
(٤) ينظر: المثل السائر: ج٢ / ١٦٨.
(٥) جوهر الكنز، لنجم الدين احمد بن الأثير الحلبي، تحقيق محمد زغلول سلام، منشأة المعارف، الإسكندرية: ١١٨-١١٩.

الشاعر المبدع المتأبي على قيود اللغة، إذ قال (متى رأيت الشاعر قد ارتكب مثل هذه الضرورات على قبحها، وانخراق الأصول بها، فاعلم أن ذلك على ما جشمه منه وإن دل من وجه على جوره وتعسفه،... وليس بقاطع دليل على ضعف لغته ولا قصوره عن اختياره الوجه الناطق بفصاحته. بل مثله في ذلك عندي مثل مجري الجموح بلا لجام، ووارد الحرب الضروس حاسرا من غير احتشام،... فإنه مشهود له بشجاعته وفيض مذته) (١).

هذا النص يكشف عن المصدر الذي استمد منه البلاغيون أمثال ضياء الدين بن الأثير، ونجم الدين بن الأثير الحلبي، ويحيى بن حمزة العلوي، وغيرهم، فيما ذهبوا إليه من عقد المشابهة بين الشاعر والفارس.

لكننا نجد ان الدكتور عبد الحكيم راضي يقول: (ان هذا النص لا يكشف لنا عن سر المشكل الأكبر، وهو مصدر ابن جني نفسه في عقد هذه المشابهة، أو المماثلة) (٢).

ومن هنا يتابع الدكتور عبد الحكيم راضي اصول هذا التصور ويردُّه إلى مصطلح تحمس له الجاحظ (ت ٢٥٥هـ) في سياق حديثه عن بعض سنن العرب في التشبيه والمجاز وتسمية الكائنات بأسماء غيرها لمجرد لمح المشابهة بينها، إذ يقول الجاحظ (ويروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « نعْمت العمة لكم النخلة، خُلقت من فضلة طينة آدم... »(٣)، ثم يتابع قائلا (وهذا الكلام صحيح المعنى لا يعيبه إلا من لا يعرف مجاز الكلام. وليس هذا مما يطرد لنا أن نقيسه، وإنما نقدم على ما أقدموا، ونحجم عما أحجموا، وننتهي إلى حيث انتهوا) (٤).

ثم نجده – الجاحظ – يتحدث في موضع آخر عن صور من التجوز في استعمال مادة «ذ و ق » فالرجل يقول لعبده إذا بالغ في عقوبته: ذُق، وكيف ذقته؟ وكيف وجدت طعمه؟ وقال الله عز وجل: ﴿ ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ ﴾ (٥).

ثم يقدم مزيدا من أمثله المجاز في مادة (أ ك ل) فيقول: (وكما جوزوا لقولهم أكل وإنما عضَّ، وأكل وإنما أفنى، وأكل وإنما أحاله، وأكل وإنما أبطل عينه، جوزوا أيضا أن يقولوا ذُقت ما ليس بطعم ثم قالوا، طعمت لغير الطعام، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي﴾ (٦) يريد لم يذق طعمه(٧).

---

(١) الخصائص: ج٢/ ٣٩٢.
(٢) التقديم لكتاب الخصائص: ١٣.
(٣) مسند أبي يعلى الموصلي، تح/ حسين سليم : ج٣٥٣/١، والحديث ضعيف.
(٤) الحيوان: ج١ / ٢١٢.
(٥) سورة الدخان الآية: ٤٩.
(٦) سورة البقرة من الآية: ٢٤٩.
(٧) الحيوان: ج٥ / ٢٨.

وبعد هذه المجموعة من المجازات والاستعمالات الخاصة يقول الجاحظ (ت ٢٥٥هـ) (وللعرب إقدام على الكلام ثقة بفهم أصحابهم عنهم، وهذه أيضا فضيلة أخرى) [١].

ويقف الدكتور عبد الحكيم راضي عند هذا المصطلح « الإقدام» عند الجاحظ ويقول عنه (أنه متعلق بالكلام كتعلق الشجاعة عند ابن جني باللغة مطلقا، أو بالعربية خاصة) [٢].

و هذا المصطلح توصف به صور من التجوز في الكلام، وأن هذا التجوز بما يحتمل من غموضه مبرر لدى الجاحظ، تماما كما كان مسوغ الشجاعة عند ابن جني.

ويصنف الدكتور عبد الحكيم راضي إلى ذلك أن (كلا من مواضع الإقدام عند الجاحظ، وأمثلة الشجاعة عند ابي جني ليست مما يقاس عليه) [٣]. فعبارة الجاحظ في ذلك هي (وليس هذا مما يطرد لنا أن نقيسه)، أما عبارة ابن جني فهي: (فهذا ونحوه مما لا يجوز لأحد قياس عليه) [٤].

ونلاحظ أن العبارتين تقتربان من التطابق علماً أن الفرق بينهما ما يقارب القرن والنصف.

وهنا ربط الدكتور عبد الحكيم راضي مصطلح الشجاعة عند ابن جني بمصطلح الإقدام عند الجاحظ إذ قال: (إن مصطلح الجاحظ بمفهومه المتعلق باللغة كان حاضراً في ذهن ابن جني حال إطلاقه لمصطلحه) [٥]، ويؤكد هذا الرأي ثانية إذ (إن هذا المصطلح هو الذي أوحى لأبن جني بمصطلح الشجاعة، خاصة إذا ذكرنا عبارة ابن جني « ومن المجاز كثير من باب الشجاعة في اللغة»، وأن مصطلح الإقدام إنما جاء هو الآخر لدى الجاحظ وصفاً لنماذج من المجاز خالف المتكلمين بها الطرائق المعتادة في اللغة العادية) [٦].

أما صورة الفارس المجازف التي مثل بها ابن جني للشاعر المتأبي على معايير اللغة، فيقول الدكتور عبد الحكيم راضي: (إن هذه الوحدة المصطلحية بكل مكوناتها عند ابن جني نوعاً مما سماه البلاغيون والنقاد العرب «التلفيق» وهو احد مصطلحات السرقات، ولست اقصد إلى معنى السرقة، وإنما أقصد أن ابن جني العالم المتحرر الفكر الواسع الأفق، وقد استمد لإحدى الظواهر الأدبية أسماً من خارج مجالها متأثراً بسلف لمعتزلي واسع الأفق مثله هو الجاحظ، قد شاء أن يكمل فكرته بصورة تمثيلية،... على الربط بين المتباعدات، فقد شاء له ذلك كله أن يستمد صورته التمثيلية من نص شعري جاهلي، أعجب به خليفة أموي، في سياق نقاش فني بينه وبين شاعر إسلامي) [٧].

يتضح لنا من هذا النص أن الشاعر الجاهلي هو الأعشى الذي صنفه ابن سلام (ت ٢٣١هـ) في الطبقة الأولى إذ قال عنه ( هو أكثرهم عروضا، وأذهبهم في فنون الشعر، وأكثرهم طويلة جيدة، وأكثرهم مدحاً وهجاءً وفخراً ووصفاً، كل ذلك عنده) [٨]. أما الشاعر

---

(١) الحيوان: ج٥ / ٣٢.
(٢) التقديم لكتاب الخصائص: ١٤.
(٣) الحيوان: ج١ / ٢١٢.
(٤) الخصائص: ج٢ / ٣٩٣.
(٥) التقديم لكتاب الخصائص: ١٥.
(٦) المصدر نفسه: ١٥.
(٧) المصدر نفسه: ١٦.
(٨) طبقات فحول الشعراء: ج١/ ٦٥.

الإسلامي فهو كثير بن عبد الرحمن المعروف بكثير عزة (ت ١٠٥هـ) الذي جعله ابن سلام في الطبقة الثانية من شعراء الإسلاميين إذ قال عنه: (و هو عند أهل الحجاز أشعر من كل من قدمنا عليه) [١]. أما الخليفة الذي دار في حضرته هذا الحوار الفني فهو عبد الملك بن مروان الذي ولي الخلافة سنة ٦٥هـ وتوفى سنة ٨٦هـ.

وفي هذا نجد ابن سلام الجمحي يقول (دخل كثير على عبد الملك فأنشده مدحته وفيها:

على آبنِ أبي العاصي دِلاصٌ حصينةٌ أجـــادَ المســـدِّي سَـــرْدها وأذالهـــا[٢]

(١) المصدر نفسه: ج٢/ ٥٣٤.
(٢) ديوان كثيرة عزة تحقيق الدكتور أحسان عباس: ٨٥.

فقال له عبد الملك: أفلا قلت كما قال الأعشى لقيس أبن معدي كرب إذ قال:

وإذا تجـــــيء كتيبـــــةٌ ملمومـــــةٌ شـــــهباء يخشـــــى الذائـــــدون نهالهـــــا

كنـــت المقـــدم، غيـــر لابـــس جنـــة بالســـيف تضـــرب معلمـــاً أبطالهـــا[1]

فقال يا أمير المؤمنين وصفه بالخرق، ووصفتك بالحزم) [2].

ثم نجد قدامة بن جعفر يقول في هذا: (والذي عندي في ذلك أن عبد الملك أصح نظراً من كثير، إلا أن يكون كُثير غالط واعتذر بما يعتقد خلافهُ،لأن المبالغة أحسن من الاقتصار على الأمر الوسط بما فيه كفاية، والأعشى بالغ في وصف الشجاعة، حيث جعل الشجاع شديد الإقدام بغير جُنّة، على أنه وإن كان لبس الجنة أولى بالحزم وأحق بالصواب، ففي وصف الأعشى دليل قوي على شدة شجاعة صاحبه، وقول كثير تقصير عن الوصف) [3].

ويعلق الدكتور عبد الحكيم راضي على هذا النص ويقول (لقد أورد قدامة في هذا النص تفضيل المبالغة في المدح واستحسانها بالنسبة للاقتصار على الأمر الأوسط، وزاد على خبر ابن سلام زيادات مهمة في الخبر نفسه، ثم زاد بالتعليق عليه وإبداء الرأي فيه) [4].

ويقف الدكتور عبد الحكيم راضي على بعض العبارات التي وردت في نص قدامة وهي قوله « في وصف الأعشى دليل قوي على شدة شجاعة صاحبه » وقوله « بالغ في وصف الشجاعة حتى جعل الشجاع شديد الإقدام بغير جنة »، ومعنى العبارة الأولى انفكاك الرابطة بين الشجاعة والصواب، أما العبارة الثانية فتربط بين الشجاعة وشدة الإقدام إذ يقول: (إذا أعدنا السلسلة من آخرها قلنا: إن شدة الإقدام هي الشجاعة، وهذا هو التسلسل الممكن على مستوى المصطلح، من الجاحظ إلى ابن جني عبر قدامة) [5].

ولهذا يجري الدكتور عبد الحكيم راضي مقارنة بين قول ابن جني (فهو « الفارس المندفع » وإن كان ملوماً في عنفه وتهالكه، فإنه مشهود له بشجاعته وفيض منته) [6]، وقول قدامة (على أنه وإن كان لبس الجنة أولى بالحزم وأحق بالصواب، ففي وصف الأعشى دليل قوي على شدة شجاعة صاحبه) [7]، ويقول (أمكننا الخروج بمفهوم للشجاعة نبع أولاً من بيتي الأعشى ثم استجادة عبد الملك لهما، ثم زيادات قدامة وبسطه في شرح

---

(١) ديوان الأعشى: ٢٧.
(٢) طبقات فحول الشعراء: ٥٤١-٥٤٢.
(٣) نقد الشعر: ١٠٠.
(٤) التقديم لكتاب الخصائص: ١٨.
(٥) المصدر نفسه: ١٩.
(٦) الخصائص: ج٢/ ٣٩٢.
(٧) نقد الشعر: ١٠٠.

المفهوم منهما وتصحيح رؤية عبد الملك واستحسان رأيه فيهما. مفهوم يرى الشجاعة في ترك الاحتراس واطراح التوقي ومخالفة المألوف وكسر المتوقع) (١).

هكذا يبدو مما كل ما تقدم من أن مشكلة المصطلح ومشكلة المفهوم قد حلت فيما يتعلق بمصدر كل منهما، نظرت كلمة «الشجاعة» عند ابن جني إلى كلمة «الإقدام» عند الجاحظ، ونظر مفهوم « الفارس الشجاع» عند ابن جني إلى صورة الفارس المخاطر في بيتي الأعشى عبر ملاحظة عبد الملك ثم تعليقات قدامة وشرحه.

وهنا يطرح الدكتور عبد الحكيم راضي سؤالاً مفاده: كيف تحولت صورة الفارس الشجاع في بيتي الأعشى من موضوع قائم بذاته هو صورة الفارس الشجاع المستهين بالخطر إلى طرف في عملية مماثلة بين الشاعر المبدع والفارس المغامر؟.

ويتحدث الدكتور عبد الحكيم راضي عن الشطر الأول من السؤال إذ قال (إن ابن جني هو صاحب هذه الخطوة التي يمكن القول عنها إنها من باب التناص عبر المجاز، إذ أننا لا نتحدث عن لمح صورة قولية أو أسلوب قولي لصورة قولية أخرى، أننا أمام مماثلة بين صفة في القول وصفة في الفعل أو السلوك) (٢).

أما الشطر الثاني من السؤال فيقول الدكتور عبد الحكيم راضي إنَّ هناك مدخلان إلى هذه النتيجة أحدهما: أدبي تاريخي والآخر شخصي فكري، أما الأول فهو اقتران الإبداع في القول والاستبسال في القتال، فهو ليس جديداً على التراث العربي، الإبداعي والتنظيري فهذا أبو تمام يقول:

السيف أصدق إنباء من الكتب  في حده الحد بين الجد واللعب(٣)

حين صدقت أنباء السيف وكذبت أخبار الكتب(٤).

أما على ألسنة المنظرين فقد تحدث البلاغيون والنقاد عن الشاعر الذي يصيب هدفه ويصوب كلامه، أو يسدد عبارته نحو فكرته، كما سموا موضوعات الشعر ومعانيه أعراضاً، ثم تحدثوا عن إصابة الغرض وإصابة المرمي... وأن يطلق على تحدي الشاعر لمقرات اللغة اسم الشجاعة (٥).

أما المدخل الآخر – الشخصي والفكري – فينطلق من نظر ابن جني إلى اللغة و هي النظرة المتسقة مع تفكيره الذي تؤكد كل الشواهد أنه من طبيعة تركيبية قادرة على الجمع بين الظواهر المختلفة من مجالات متباعدة، ورصد ما يكون بينها من شبه يقيم على أساسه قانوناً له حظ من الاطراد والعموم.

---

(١) التقديم لكتاب الخصائص: ١٩.
(٢) التقديم لكتاب الخصائص: ٢٠.
(٣) ديوان ابو تمام بشرح الخطيب التبريزي، تح محمد عبده عزام: ج١/ ٤٠.
(٤) ينظر: التقديم لكتاب الخصائص: ٢٠.
(٥) ينظر: المصدر نفسه: ٢١.

وكما يقول الدكتور عبد الحكيم راضي (إن اللغة في تصور ابن جني ظاهرة اجتماعية، وهي تقبل الخضوع في تغيرها لما تخضع له عناصر الطبيعة) [١].

ومن هذا فقد تلحق تغيرات معينة بعض كلمات اللغة لعلل عارضة ثم يحدث أن تزول العلة، ومع ذلك لا يزول الأثر الذي ترتب عليها حتى بعد زوالها.

ونجد ابن جني يشبه هذه الحالة بغصن قطع من شجرته فأدركه اليبس بعلة انقطاع الرطوبة، ويقول إن هذه الحال، التي هي اليبس لا يمكن أن تزول حتى لو زالت العلة وأعيد الغصن إلى قعر البحر، كذلك الكلمات التي تلحقها بعض العوارض لعلل معينة، فإن هذه العوارض لا تزول بزوال العلل[٢].

وكذلك نجده يستمد المثال من ظواهر الطبيعة وقوانينها لشرح متغيرات اللغة وأحوالها، كذلك يستمد من مجال العواطف والعلاقات الإنسانية لتوثيق الشبه بين اللغة وبينها.

وهنا نعود إلى قول ابن جني في بداية كلمه عن شجاعة العربية (اعلم أن معظم ذلك هو الحذف، والزيادة، والتقديم،والتأخير، والحمل على المعنى والتحريف) [٣].

## الحذف:

الحذف في اللغة: القطع والإسقاط، جاء في الصحاح حذف الشيء إسقاطه، يقال حذفت رأسه بالسيف، إذ ضربته فقطعت منه قطعة[٤].

وفي لسان العرب: حذف الشيء يحذفه حذفاً قطعه من طرفه والحجام يحذف الشعر من ذلك... والحذف الرمي عن جانب والضرب[٥].

ويقول ابن جني (قد حذفت العرب الجملة، والمفرد، والحرف، والحركة، وليس شيء من ذلك إلا عن دليل عليه، وإلا كان فيه ضرب من تكليف على الغيب في معرفته) [٦].

ونجد عبد القاهر الجرجاني يقول عنه: (هو باب دقيق المسلك لطيف المأخذ، عجيب الأمر شبيه بالسحر، فإنك ترى به ترك الذكر أفصح من الذكر، والصمت عن الإفادة أزيد للإفادة، وتجدك أنطق ما تكون إذا لم تنطق وأتم ما تكون بيانا إذا لم تبن) [٧].

ومن نص ابن جني السابق، نجد ان الحذف أنواع منه حذف الجملة، وحذف المبتدأ أو الاسم، وحذف الفعل والفاعل، وحذف الفعل والمفعول به وغيرها وسنذكر بعضاً منها.

---

(١) التقديم لكتاب الخصائص: ٢١.
(٢) ينظر: الخصائص: ج٣ / ١٦٠.
(٣) الخصائص: ج٢ / ٣٦٠.
(٤) الصحاح في اللغة: ج ١ / ١٢٠.
(٥) لسان العرب: مادة (حذف) ج٩/ ٤٠.
(٦) الخصائص: ج٢ / ٣٦٠.
(٧) دلائل الإعجاز: ١٤٦.

أما حذف الجملة، نحو قولك « تالله لقد فعلت » وأصله أقسم بالله، فحذف الفعل والفاعل، وبقيت الحال دليلا على الجملة المحذوفة. ونحو قوله تعالى: ﴿ فَقُلْنَا اضْرِب بِّعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ﴾[1]، أي فضرب فانفجرت.

ويقول ابن جني (إنما تحذف الجملة من الفعل والفاعل لمشابهتها المفرد بكون الفاعل في كثير من الأمر بمنزلة الجزء من الفعل، نحو ضربت ويضربان، وقامت هند،...، وما أشبه ذلك مما يدل على شدة اتصال الفعل بالفاعل وكونه معه كالجزء الواحد) [2].

أما حذف المبتدأ فنجد عبد القاهر يقول في هذا الصدد (ومن المواضع التي يطرد فيها حذف المبتدأ « القطعُ والاستئناف»، يبدأون بذكر الرجل، ويقدمون بعض أمره، ثم يدعون الكلام الأول، ويستأنفون كلاماً آخر، وإذ فعلوا ذلك، أتوا في أكثر الأمر بخبرٍ من غير مبتدا) [3] نحو قوله:

هــلالان، حمــالان فــي كــل شــتوةٍ  مــن الثقــلِ مــا لا تســتطيع الأبــاعر[4]

«حمالان»، خبر ثانٍ، وليس بصفة، كما يكون لو قلت مثلاً « رجلان حمالان»[5].

فمن المحذوفات ما يدل عليه العقل، ويدل المقصود الأظهر على تعيينه، نحو ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ ﴾ [6]، فإن العقل يدل على الحذف من حيث إنه يصح تحريم الأجرام، كما يدل المقصود الأظهر على أن المحذوف المقدر هو « أكل» الميتة ما دام الغرض الأظهر من هذه الأشياء أكلها[7]. ونحو قوله تعالى: (وجاء ربك) و (أن يأتيهم) و (فأتاهم الله)، فنجد الدكتور عبد الحكيم راضي يقول: (أن العقل هو الذي استدعى أن يكون هناك محذوف) [8].

ومن أدلة الحذف السياق، إذ ينبغي على المتلقي أن (يقدر في كل مكان ما يليق به، وما يليق بطبيعة الحال هو تنزيه الله عن أن يقع عليه أو ينسب إليه في اللفظ ما لا يليق ولا يجوز من الأفعال) [9]، فإذا قال الله تعالى: ﴿ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴾[10]، كان التقدير

---

(١) سورة البقرة الآية: ٦٠.
(٢) الخصائص: ج٢ / ٣٦١.
(٣) دلائل الإعجاز: ١٤٧-١٤٨.
(٤) شرح الحماسة للتبريزي: ج١ / ١٩١. والشاعر هو موسى بن جابر الحنفي.
(٥) ينظر: دلائل الإعجاز: ١٤٩.
(٦) سورة المائدة الآية: ٣.
(٧) ينظر: نظرية اللغة في النقد العربي: ٤١١.
(٨) المصدر نفسه: ٤٥٠.
(٩) المصدر نفسه: ٤١٢.
(١٠) سورة المائدة الآية: ١١.

الواجب هو (وعلى وقاية الله فليتوكل...) فتارة يقدر من لفظه ومعناه، وتارة يقدر من معناه دون لفظه[١].

وقد ذكر الزركشي من أدلة الحذف أو أنواعه (اعتضاده بسبب النزول، كما في قوله تعالى «إذا قمتم إلى الصلاة » فإنه لا بد فيه من تقدير، فقال زيد بن أسلم: أي قمتم من المضاجع يعني النوم،...، واحتج لزيد بأن هذه الآية إنما نزلت بسبب فقدان عائشة رضي الله عنها عقدها، فأخروا الرحيل إلى أن أضاء الصبح...) [٢].

والحرص لدى اللغويين على المستوى المثالي في اللغة من خلال التقدير إذ(ونراهم يذكرون من أدلة الحذف ما يعود إلى مثالية اللغة، وفي حديثهم عن الحذف الذي تستحيل صحة الكلام إلا بتقديره، نحو (وأسال القرية) فقالوا لا بد من تقدير محذوف، لأنه يستحيل عقلا تكلم الأمكنة وقالوا إن اللغة تدل على الحذف) [٣].

وواضح مما تقدم من أدلة الحذف تعرض العبارة القرآنية لعدد من العوامل من خارجها تتحكم في فهمها وتحديد المراد منها.

أما التقديم والتأخير عند ابن جني (ت ٣٩٢ هـ) فهو على ضربين أحدهما ما يقبله القياس، والآخر ما يسهله الاضطرار. فالضرب الأول كتقديم المفعول على الفاعل تارة، وعلى الفعل الناصبه أخرى،... وكذلك الظرف، والاستثناء،...، ولا يجوز تقديم المستثنى على الفعل الناصب له، لو قلت: إلا زيدا قام القوم لم يجز، لمضارعة الاستثناء البدل، وقولك ما قام أحد إلا زيدا وإلا زيد، والمعنى واحد. فلما جارى الاستثناء البدل أمتنع تقديمه[٤].

أما عبد القاهر الجرجاني (ت ٣٧١ هـ) فيقول عنه ( هو باب كثير الفوائد، جم المحاسن، واسع التصرف، بعيد الغاية، لا يزال يفتر لك عن بديعةٍ، ويفضي بك إلى لطيفة، ولا تزال ترى شعراً يروقك مسمعه، ويلطف لديك موقعه، ثم تنظر فتجد سبب أن راقك ولطف عندك، أن قدم فيه شيء، وحول اللفظ عن مكان إلى مكان) [٥].

ونجده يقسمه على وجهين أحدهما تقديم على نية التأخير، كخبر المبتدأ إذا قدمته على المبتدأ، والمفعول إذا قدمته على الفاعل كقولك « منطلق زيد» وغيرها لم يخرج بالتقديم عما كانا عليه.

والآخر (تقديم لا على نية التأخير، ولكن على أن تنقل الشيء من حكم إلى حكم، وتجعل لهُ باباً غير بابه، وإعرابا غير إعرابه، وذلك أن تجيء إلى أسمين يحتمل كل واحد منهما أن يكون مبتدأ ويكون الآخر خبراً له، فتقدم تارة هذا على ذاك، وأخرى ذاك على هذا، نحو « زيدٌ المنطلق» وأخرى « المنطلق زيدٌ» فأنت في هذا لم تقدم المنطلق على أن يكون متروكاً على حكمه الذي كان عليه مع التأخير، فيكون خبر مبتدأ كما كان، بل على أن تنقله من كونه خبراً إلى كونه مبتدأ) [٦].

---

(١) ينظر: نظرية اللغة في النقد العربي: ٤١٢.
(٢) البرهان: ج٣ / ١١١.
(٣) نظرية اللغة في النقد العربي: ٤١٤.
(٤) ينظر: الخصائص: ج٢ / ٣٨٢.
(٥) دلائل الإعجاز: ١٠٦.
(٦) دلائل الإعجاز: ١٠٦-١٠٧.

ويقول ابن جني (ومما يصح ويجوز تقديمه خبر المبتدأ على المبتدأ، نحو «قائم أخوك»، و« في الدار صاحبك»، وكذلك خبر كان وأخواتها على أسمائها، وعليها أنفسها، وكذلك خبر ليس، نحو «زيدا ليس أخوك»، و«منطلقين ليس أخواك») [1].

(١) الخصائص: ج٢ / ٣٨٢-٣٨٣.

أما الحمل على المعنى:- فنجد ابن جني يقول (اعلم أن هذا النوع غور من العربية بعيد، ومذهب نازح فسيح، وقد ورد به القرآن الكريم وفصيح الكلام منثورا ومنظوما...) (١).

وهذا الباب يدخل تحته تأذيت المذكر، وتذكير المؤنث، وتصور معنى الواحد في الجماعة، وتصوير الجماعة في الواحد،... وغير ذلك.

وعلى سبيل المثال مجيء صفة المؤنث مذكرة، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾(٢) ، يقول الدكتور عبد الحكيم راضي (إذ نراهم يلجأون إلى كل أساليب التخريج والتقدير الممكنة لكي يبدو مجيء الصفة على هذا النحو متسقا مع النمط) (٣).

وينقل لنا صاحب البرهان قول الأخفش إذ قال (إن المراد بالرحمة هنا: المطر، لأنه قد تقدم ما يقتضيه فحمل المذكر عليه، وقال الزجاج: لأن الرحمة والغفران بمعنى واحد، وقيل لأنها والرحم سواء. ومنه« وأقرب رحماً»، فحملوا الخبر على المعنى، ويؤيده قوله تعالى « هذا رحمة من ربي». وقيل:

الرحمة مصدر، والمصادر كما لا تجمع لا تؤنث، وقيل: «قريب» على وزن « فعِيل » و « فَعِيل» يستوي فيها المذكر والمؤنث... وقيل: من حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه، مع الالتفات إلى المحذوف، فكأنه قال « وإن مكان رحمة الله قريب » ثم حذف المكان وأعطى الرحمة إعرابه وتذكيره،... والأصل هنا « إن رحمة الله قريبة وهو قريب من المحسنين » فاستغنى بخبر المحذوف عن خبر الموجود) (٤).

---

(١) المصدر نفسه: ج٢ / ٤١١.
(٢) سورة الأعراف الآية: ٥٦.
(٣) نظرية اللغة في النقد العربي: ٤١٩.
(٤) البرهان: ج٣ / ٣٦٠-٣٦٢.

ومن تذكير المؤنث قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّي ﴾ ، أي هذا الشخص أو هذا المرئي ونحوه وكذلك قوله تعالى: ﴿ فَمَن جَآءَهُۥ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ ﴾[1] ، لأن الموعظة والوعظ واحد[2].

وأما تصور معنى حمل الواحد على الجماعة فكقوله تعالى:﴿ وَمِنَ ٱلشَّيَٰطِينِ مَن يَغُوصُونَ لَهُۥ ﴾[3] ، وإنما الحمل للفظ على المعنى، وأما تصور حمل الجماعة على الواحد فكقولة تعالى: ﴿ بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾[4] ، فحمل الكلام في أوله على لفظ الواحد وآخره على لفظ الجمع [5].

وقد أدرج ابن قتيبة هذا النوع تحت ما أسماه (« مخالفة ظاهر اللفظ معناه »، ومن ضروبه عنده « الجزاء على الفعل بمثل لفظه » ومن أمثلته عنده «... ومكر الله») و «... سخر الله منهم ») [6].

وأطلق المبرد على نفس الأسلوب « مزج اللفظ بلفظ ما قبله» وقاسه إلى قول الشاعر:

ألا لا يجهلـــن أحـــد علينـــا فنجهـــل فـــوق جهـــل الجاهلينـــا[7]

ومن الطريف أن يستند الصولي في دفاعه عن أبي تمام في قوله:

لا تســـقني مـــاء المـــلام فـــإنني صـــب قـــد اســـتعذبت مـــاء بكـــائي[8]

إلى أمثال هذه الآيات القرآنية، فقال إن (العرب قد تحمل اللفظ على اللفظ فيما لا يستوي معناه) [9].

---

(١) سورة البقرة الآية: ٢٧٥.
(٢) ينظر: الخصائص: ج٢ / ٤١٢.
(٣) سورة الأنبياء الآية: ٨٢.
(٤) سورة البقرة الآية: ١١٢.
(٥) ينظر: جوهر الكنز: ١٢٤-١٢٥.
(٦) تأويل مشكل القرآن: ٢١٥.
(٧) ديوان عمرو بن كلثوم تحقيق د. أميل بديع يعقوب : ٧٨.
(٨) ديوان ابي تمام: ج١/ ٢٢.
(٩) سر الفصاحة: لابن سنان الخفاجي، حيث نقل عن الصولي: ١٣٢.

وذهب أبو عبيدة في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾[1] إلى أن (هذا كلام هو إخبار خرج مخرج الاستفهام) [2].

أما قوله تعالى ﴿ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ﴾[3] ، فإن (هذا باب تفهيم وليس باستفهام عن جهل ليعلمه، وهو يخرج مخرج الاستفهام وإنما يراد به النهي عن ذلك، ويتهدد به) [4].

ونجد أيضا ابن قتيبة يذهب إلى أن من « مخالفة ظاهر اللفظ معناه» أن يأتي الكلام على مذهب الاستفهام وهو تقرير، كقوله تعالى: (ءَأَنتَ قُلْتَ ... ) و ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ﴾[5] ، كما أنه قد يأتي على مذهب الاستفهام وهو توبيخ [6].

وهكذا تطرد القاعدة في صرف العبارة عن ظاهرها في كل موضع لا يجوز صدوره من الله أو نسبته إليه، وقد صاغ ابن خالويه المسألة فيما يشبه القاعدة فـ(كل لفظ استفهام ورد في كتاب الله عز وجل فلا يخلو من أحد ستة أوجه: إما أن يكون توبيخا، أو تقريراً، أو تعجباً أو تسوية، أو إيجابا، أو أمراً. فأما استفهام صريح فلا يقع من الله تعالى في القرآن، لأن المستفهم مستعلم ما ليس عنده، طالب للخبر من غيره، والله عالم بالأشياء قبل كونها) [7].

وقريب من هذا ما ذكره الزركشي من أن (ما جاء على لفظ الاستفهام في القرآن فإنما يقع في خطاب الله تعالى على معنى أن المخاطب عنده علم ذلك الإثبات أو النفي حاصل،...، وأن الاستفهام (قد يخرج عن حقيقته بأن يقع ممن يعلم ويستغني عن طلب الإفهام) [8].

وقد يحدث أن لا يكون السؤال صادرا في ظاهرة العبارة من الله تعالى، نحو قوله: ﴿قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ﴾[9]، وهنا تنطبق نفس القاعدة في وجوب التخريج على محمل لائق، كأن يحمل الاستفهام على معنى « استعلام وجه

---

(١) سورة البقرة الآية: ٦.
(٢) مجاز القرآن: ج١ / ٣١.
(٣) سورة المائدة الآية: ١١٦.
(٤) مجاز القرآن: ج١ / ١٨٣.
(٥) سورة طه ١٧.
(٦) تأويل مشكل القرآن: ٢١٥-٢١٦.
(٧) الحجة في القراءات السبع، لأبن خالويه تحقيق وشرح، الدكتور عبد العال سالم، دار الشروق – بيروت ١٩٧١م : ٣٠٠-٣٠١.
(٨) البرهان: ج٢ / ٣٢٧ -٣٢٨.
(٩) سورة البقرة الآية: ٣٠.

الحكمة، لا على الإنكار»، أو على أن الألف، ألف استرشاد وسؤال عن فائدة، وليس اناكرا .

ويحتاج الظاهر من الكلام إلى صورة أخرى من التأويل فان (صور الانصراف عن الظاهر غير الملائم إلى باطن ملائم يعد هو الأصل والأساس المثالي للظاهر المحسوس الذي يمثل بدوره انحرافا عن هذا الأصل،... هذه الصور تندرج تحت مقوله أكبر، ويحكمها قانون أعم، وهو أن معاني هذه النصوص لا تتقرر غالبا من داخلها، ووفقا لما تمليه لغتها المباشرة، وإنما تتحكم في تحديد معنى النص الديني عديد من الملابسات والقرائن، وليس أهمها مفردات النص وتركيب لغته) (١).

أما الالتفات: لغةً: لفت وجهه عن القوم، صرفه والتفت التفاتا، والتلفت أكثر منه، وتلفت إلى الشيء والتفت إليه صرف وجهه إليه(٢).

**اصطلاحا**: المشهور في اصطلاح البلاغيين أن الالتفات نقل الكلام من كل من التكلم والخطاب أو الغيبة إلى صاحبه، أي إن حقيقته التعبير عنه تكون بطرق ثلاث التكلم والخطاب والغيبة، والالتفات انصراف المتكلم عن الأخبار إلى المخاطبة، ومن المخاطبة إلى الإخبار(٣).

فهو من نعوت المعاني، وحده: أن يكون المتكلم آخذاً في معنى من المعاني فيعترضه فيه شك أو يظن أن سائلا يسأله عن سببه، فكأنه يلتفت إليه فيذكر السبب أو يبطل الإيراد بكلام غير ما هو أخذ فيه(٤).

ونجد ابن الأثير يقول عنه هو (خلاصة علم البيان التي حولها يدندن، وإليها تستند البلاغة، وعنها يعنعن. وحقيقته مأخوذة من التفات الإنسان عن يمينه وشماله، فهو يقبل بوجهه تارة كذا، وتارة كذا) (٥).

وكذلك نجده يسميه في موضع أخر («شجاعة العربية» وإنما سمي بذلك لأن الشجاعة هي الإقدام، وذلك أن الرجل الشجاع يركب ما لا يستطيعه غيره، ويتورد مالا يتورده سواه، وكذلك هذا الالتفات في الكلام، فإن العربية تختص به دون غيرها من اللغات) (٦).

ويدفع الدكتور عبد الحكيم راضي الالتفات إلى أن يكون له مصطلح آخر فهو (احتراز يتمشى مع النظرة العامة إلى لغة الأدب من جهة، والى الأساليب التي تقوم عليها هذه اللغة باعتبارها انحرافا عن النمط المثالي من جهة أخرى، وهذا ما جعل البعض

---

(١) نظرية اللغة في النقد العربي: ٤٤٨.
(٢) لسان العرب: مادة (لفت).
(٣) ينظر: المعجم المفصل في علوم البلاغة، إنعام فوال عكاوي، مراجعة أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية بيروت، ١٩٩٢م: ٢٠٨.
(٤) ينظر: جوهر الكنز: ١١٩.
(٥) المثل السائر: ج٢/ ١٦٧.
(٦) المثل السائر : ج٢/ ١٦٨

يدخلون الحديث في الالتفات ضمن « شجاعة العربية» المبحث الذي بدأه ابن جني، والذي سجل فيه كثيراً من صور الجرأة على النظام النظري للغة) [١].

ويقسم الالتفات إلى ثلاثة أقسام:-

**القسم الأول**: في الرجوع من الغيبة إلى الخطاب ومن الخطاب إلى الغيبة.

**القسم الثاني**: في الرجوع عن الفعل المستقبل إلى فعل الأمر، وعن الفعل الماضي إلى فعل الأمر.

**القسم الثالث**: في الإخبار عن الفعل الماضي بالمستقبل، وعن المستقبل بالماضي[٢].

يقول الزمخشري (فإن قلت: ما فائدة صرف الكلام عن الخطاب إلى الغيبة؟ قلت المبالغة) [٣]، ويقول في موضع أخر(لأن الكلام إذا نقل من أسلوب إلى أسلوب كان ذلك أحسن تطرية لنشاط السامع وإيقاظا للإصغاء إليه من إجرائه على أسلوب واحد) [٤].

ويذهب ابن الأثير إلى رفض فكرة الزمخشري في تنوع الأسلوب تطرية لنشاط السامع، إذ قال: (وليس الأمر كما ذكره، لأن الانتقال في الكلام من أسلوب إلى أسلوب إذا لم يكن إلا تطرية لنشاط السامع، وإيقاظاً للأصغاء إليه، فان ذلك دليل على أن السامع يمل من أسلوب واحد، فينتقل إلى غيره ليجد نشاطاً للاستماع، وهذا قدح في الكلام، لا وصف له، لأنه لو كان حسنا لما ملَّ) [٥]. ويقول أيضا (نحن نرى الأمر بخلاف ذلك، لأنه قد ورد الانتقال من الغيبة إلى الخطاب، ومن الخطاب إلى الغيبة في مواضع كثيرة من القرآن الكريم...، والذي عندي في ذلك أن الانتقال من الخطاب إلى الغيبة أو من الغيبة إلى الخطاب لا يكون إلا لفائدة اقتضته. وتلك الفائدة أمر وراء الانتقال من أسلوب إلى أسلوب) [٦].

---

(١) نظرية اللغة في النقد العربي: ٢٦٥.
(٢) ينظر: المثل السائر:ج٢/ ١٦٨ -١٧٩-١٨١.
(٣) الكشاف: ج٢/ ٢٦٦.
(٤) الكشاف: ج١/ ١٢.
(٥) المثل السائر: ج٢/ ١٦٩.
(٦) المصدر نفسه: ج٢/ ١٦٩.

وإذا كان الانتقال أحد أساليب التكلم أو الخطاب أو الغيبة إلى غيره هو أخص معاني الالتفات كما يقول الدكتور عبد الحكيم راضي، إن هناك من توسعوا في معناه ليشمل صوراً من الانحراف في مقولات لغوية أخرى كالعدد(١).

ومن المقولات المهمة التي يتجلى فيها الاعتقاد بانحراف لغة الأدب عن لغة المثال كما تصورها النحاة مقولة الزمن كما تتمثل في حديثهم عن الفعل بكل أقسامه.

وهكذا جاء معنى الزمن في نظر النحاة العرب على أساس المستوى الصرفي وهو ما يستفاد من شكل الصيغة ومن هنا (قسموا الأفعال بحسبه إلى ماضي ومضارع وأمر، ثم جعلوا هذه الدلالات الزمنية الصرفية نظاما زمنيا... يبدو قاطعا في دلالة كل صيغة على معناها الزمني) (٢).

أما ابن فارس فقد جعله من « سنن العرب في كلامها » وتحدث عنه في «باب الفعل بلفظ الماضي وهو راهن أو مستقبل، وبلفظ المستقبل وهو ماضي»(٣) ، وجعله البعض ضمن « شجاعة العربية» وهذا ما نجده في الجامع الكبير(٤) ، وفي جوهر الكنز الذي أدخله ضمن مبحث الالتفات مع جعل الالتفات من أقسام شجاعة العربية(٥) .

وهنا يقول الدكتور عبد الحكيم راضي:(وجدير بالذكر أنهم لم يقتصروا على رصد الانحراف في الانتقال من الماضي إلى المضارع فحسب، إذ نراهم يعزفون على نفس الفكرة، فتحدثوا مثلا عن المجيء باسم الفاعل مكان الماضي وغيرها) (٦).

---

(١) ينظر: نظرية اللغة في النقد العربي: ٢٦٨-٢٦٩.
(٢) اللغة العربية: ٢٤١-٢٤٢.
(٣) الصاحبي في فقه اللغة، وسنن العرب في كلامها، ابن فارس،تحقيق، احمد حسن بسج، منشورات دار الكتب العلمية، ط١، بيروت، ١٩٩٧م: ١٦٧.
(٤) الجامع الكبير: ١٠٢.
(٥) ينظر: جوهر الكنز: ١٢٢.
(٦) نظرية اللغة في النقد العربي: ٢٨٠.

وبذلك نكون قد أكملنا بناء مثلث ابن جني، وعرفنا مصادره، مصدر مصطلحه ومفهومه وصورته، ولا شك أن « إقدام الجاحظ » كان وراء « شجاعة ابن جني »، وأن الجاحظ والنظرية العربية كلها التي اسهم ابنُ جني في دعمها، وراء المفهوم على مستوى الأدب، بينما كان الشعر والمثل الاجتماعية وراءه في جانب السلوك، أما الصورة – صورة الفارس – فقد تكفل بها بيتا الأعشى وملاحظات عبد الملك وتفصيل قدامة[1].

وفي نهاية الحديث عن هذه الظاهر نجد الدكتور عبد الحكيم راضي يقول: (إن هذه العملية التناصية التي اطلعنا منها على جانب من عبقرية ابن جني في فهمه للظواهر أولاً، ثم في قدرته على تشخيصها والتمثيل لها، وكيف أنه لم يكن يعييه اقتناص المثل أو الصورة الموضحة حتى من المجال البعيد غير المتوقع في مماثلته بين الشاعر والفارس، وجعل كل منهما شجاعاً، ولكن بطريقته التي تناسبه، وهي صورة من التناص، ولكنها صورة خاصة، أبدعتها عبقرية ابن جني) [2].

(١) ينظر: التقديم لكتاب الخصائص: ٢٤-٢٥.
(٢) المصدر نفسه: ٢٥.